

توافق التعقيب والتراخي مع مراحل تخلق الجنين في رحم الأم

د. فوزية علي القضاء *

تاريخ قبول البحث: ٢٠٠٧/٣/١١م

تاريخ وصول البحث: ٢٠٠٦/١٢/١٢م

ملخص

تبحث هذه الدراسة في آيات خلق الإنسان وتصويرها للأحداث، وتشكيل أبعادها الزمانية من ناحية العمليات المتتابعة في نمو الخلق والحالات في انتقالها من حالة إلى حالة، إذ إن الحرفين يقومان باختزال الحدث والمعنى، وربط ما يسبقهما وما يلحقهما من ألفاظ وجمل، وتنسيق مكونات الآية بسبك يعبر عن المعنى الدقيق بما يواكب اتساق الحركة التخلقية. اختصت الدراسة بمشاهد العمليات والحالات في الصورة الخلقية التي يعايشها الإنسان، كمشهد تخلق الجنين من النطفة إلى أن يخرج طفلاً من بطن أمه بما سبق من علامات الحمل الظاهرة من مثل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [١٦-١٧: المؤمنون].

والموت والحياة في قصة العيد في قوله تعالى: ﴿أَوِ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [٢٥٩: البقرة]، وغيرها من الآيات التي تُعنى بالخلق، وكيفية استخدام (ثم) و (الفاء) وماذا أفادت. وهدفها تحقيق فرضيات عدة وإثباتها:

الأولى: العلاقة بين مشهد نمو الجنين وأسلوب التعبير عنه بحرف من حروف العطف (الفاء) و(ثم).

الثانية: كيفية دلالات التخلق لبيان توجيه الصورة الحركية لنمو الجنين.

الثالثة: الأثر الفني والدلالي لتعدد السياقات في حركة تبادلية بين حرفي العطف (الفاء) و(ثم)، وتنوع القراءات للصورة في بيان روعة الإعجاز البياني مبيناً كيفية الإعجاز العلمي.

Abstract

The research deals with the evidences that indicated human's creation and described events. Such as how human was created from blood to be baby.

It concerns with two conjunctions such as (Thuma) and (Al-fa) and their meaning related to creation process.

The study hypotheses are as follows:

- (1) The relation between baby's creation and language style (one of conjunctions as Fa or Thuma).
- (2) How creation denotation illustrated baby's growth.
- (3) The semantic and stylistic effect of context in conjunction and different interpretation of metaphor.

مقدمة:

في فلکها، ومعطيات البحث ومسائله سواء أكانت لغوية أو متعلقة بتفسير الآيات الكريمة أم بقراءتها القرآنية. أما الآيات فهي ست: خمس منها في سورة "المؤمنون" هي الآيات في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ

يضم هذا البحث تقديمًا يلقي الضوء على محتوياته والمشكلة التي يعالجها والآيات التي تدور

* أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية، جامعة البلقاء التطبيقية.

محدد؟ كل هذه الأسئلة ستبحث حتى نستطيع قبولها أو ردها.

يقول أحمد مختار عن علم الدلالة: "يعرفه بعضهم بأنه: (دراسة المعنى) أو (العلم الذي يدرس المعنى) أو (ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادراً على حمل المعنى)"^(٣). ولقد أضفنا على الدلالة كلمة (الإيحائية) لتضيف إليها جمالية جديدة في المعنى الداخلي والخارجي لحرفي العطف (ثم) و(الفاء). والمعنى الإيحائي يعمل على استنباط الدلالة الكامنة في المفردة اللغوية لما تؤديه هذه الأخيرة من وظائف، بحيث يستشف قدرتها على الإيحاء بناءً على ما تتميز به من شفافية معينة. ونجد أن تأثيرات هذا المعنى مرتبطة ببعض المستويات اللغوية، وقد حصرها أولمان في ثلاثة مستويات^(٤):

(أ) التأثير الصوتي: وينقسم إلى قسمين:

١. تأثير مباشر: وهو ما تدل به الكلمة على بعض الأصوات أو الضجيج الذي يحاكيه التركيب الصوتي للاسم مثل صليل السيوف ومواء القط وخرير الماء.

٢- تأثير غير مباشر: مثل القيمة الرمزية للكسرة التي ترتبط في أذهان الناس بالصغر أو بالأشياء الصغيرة.

(ب) التأثير الصرفي: وهو خاص بالكلمات المركبة مثل الكلمات المنحوتة (بحتر) من بتر وحتر، أو غيرها.

(ج) التأثير الدلالي: وهو ما يتعلق بالمعنى المجازي للكلمة وهو غالباً ما يترك فيه المعنى الأكثر شيوعاً أثره الإيحائي على المعنى الآخر، ويصبح بمجازيته متداولاً أكثر من غيره.

وإذا ما أنعمنا النظر في حرف العطف "ثم" في سياق قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: ٤٠].

سَلَالَةَ مَنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٢﴾-١٦:

المؤمنون]، وأما السادسة فهي قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ البقرة].

أما الإشكال الذي يعالجه البحث فهو في جمالية الدلالة الإيحائية في تناوب حرفي العطف (الفاء وثم) وتوافق هذه الجمالية عن طريق ربطها بالحقائق العلمية المعجزة لكيفية تخلق الجنين و مراحل تكوينه في رحم الأم، تبارك الله أحسن الخالقين.

الفاء وثم بين الحقيقة العلمية والدلالة اللغوية:

ولعل الناظر إلى علاقة "ثم" بـ"الفاء" سيجدها من خلال جمالية الدلالة الإيحائية إما في تناوب الحرفين أو ترادفهما، إذ اختزال مدة الحدث والمعنى في سياقات مختلفة في الآيات موضع التناول من حيث روعة الإعجاز البياني وارتباطه بالإعجاز العلمي، وفي حديثنا عن تناوب^(١) حرفي العطف يرد سؤال طالما بحث فيه العلماء الأوائل والمحدثون، ألا وهو الترادف^(٢) و"ثم" من عارضه ورفضه جملة وتفصيلاً؟ وهل تناوب الحروف يعني الترادف أم شيئاً آخر؟ أم أن جمالية موقع الحرف في سياق معين تطلب التناوب على سبيل إظهار الدقة في الدلالة؟ وهل يكتمل الحدث والمعنى بوجود حرف العطف المعنى في سياق

كذا وكذا ثُمَّتْ فعلت كذا؛ وقال الشاعر:

ولقد أمرٌ على اللئيم يسبني

فمضيتُ ثُمَّتَ قلت: لا يعينني^(٩)

وقال الشاعر:

ثُمَّتَ يَبَاعُ انبِيَاءَ الشَّجَاعِ^(١٠)

وحيثما نفرق بين ثُمَّ وِثْمَ، بفتح الثاء، يقول اللسان: ثَمَّ إشارة إلى المكان؛ قال الله ﷻ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [٢٠: الإنسان]؛ وأما قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [١١٥: البقرة]. قال الزجاج: ثَمَّ موضعه موضع نصب، ولكنه مبني على الفتح لالتقاء الساكنين. وِثْمٌ في المكان: إشارة إلى مكان مزاح عنك، وإنما منعت ثَمَّ الإعراب لإبهامها، قال: ولا أعلم أحداً شرح ثَمَّ بهذا الشرح، وأما هنا فهو إشارة إلى القريب منك. وِثْمٌ: بمعنى هناك وهو للتبديد بمنزلة هناك زيد، وهو المكان البعيد منك، ومنعت الإعراب لإبهامها وبقيت على الفتح لالتقاء الساكنين. وِثْمَتٌ أيضاً: بمعنى ثَمَّ. أي أنها ظرف مكان مبني على الفتح في محل نصب.

وإذا أنعمنا النظر في علاقة "ثم" بـ "الفاء" نجدنا من خلال جمالية الدلالة الإيحائية في معنى تناوب الحروف أو التحريف، وتناوب الحروف ليس بمعنى الترادف بين الحروف، وإنما جمالية موقع الحرف في سياق معين تطلب التناوب على سبيل إظهار الدقة في الدلالة، وفَمٌّ: لغة في (ثَمَّ)، وقيل: فاء (فَمٌّ) بدل من ثاء (ثَمَّ). ويقال رأيت عمراً فَمٌّ زيدا وِثْمٌ زيدا بمعنى واحد. قال الفراء (فَمٌّ) و(ثَمَّ) من حروف النسق. وقد تكون لغة وليس حرفاً. حيث ذكر في الخصائص أيضاً في "باب في الحرفين المتقاربين يستعمل أحدهما مكان صاحبه"^(١١) أن (ثَمَّ) تنطق (فَمٌّ) بالفاء بدلاً من الثاء، وقالوا: قام زيد فَمٌّ عمرو؛ كقولك: ثَمَّ عمرو. وإن كان بدلاً فإنه من التحريف^(١٢). وإذا ما كان البديل قائماً بزيادة حرف الميم المشدد في (فَمٌّ) فإنها تؤدي إلى

سينظرُ إليها، للوهلة الأولى، على أنها تابع يتوسط بينها وبين متبوعه، وسنجد من معانيها أنها حرف عطف، يفيد التشريك في الحكم، والترتيب والتراخي، ومثل ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ [١١: الأعراف].

فقبل التقدير خلقنا أباكم ثم صورنا أباكم؛ فحذف المضاف منهما^(٥). ومن المعاني أن (ثَمَّ) للتشريك في الحكم، والترتيب والتراخي، وقد يطلق على التراخي المهلة أو عدم التعقيب. وقال ابن جني: ومعنى (ثَمَّ) المهلة والتراخي تقول: قام زيدٌ ثَمَّ عمرو أي: بينهما مهلة. وشرح ابن الخباز هذا الكلام بقوله: وأما (ثَمَّ) فمعناها المهلة والتراخي فإذا قلت: مررت بزید ثَمَّ عمرو فهذان مروران بينهما فاصل. وحيثما سأل ابن الخباز شيخه^(٦) عن (ثَمَّ) في آخر سورة البلد: ﴿ثَمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [١٧: البلد]. أين المهلة؟ وقد علم أنه إذا أطعم اليتيم وفك الرقبة كان من الذين آمنوا، فقال: (ثَمَّ) إذا دخلت على الجمل لا تفيد الترتيب. والمهلة تكون في كل شيء بحسبه نحو^(٧): نمتُ ثَمَّ قمتُ نشيطاً، وفي اللسان^(٨): حرف عطف يدل على الترتيب والتراخي. وِثْمٌ وِثْمَتٌ وِثْمَتٌ، كلها حروف نسق. والليث: ثَمَّ حرف من حروف النسق لا يُشْرِكُ ما بعدها بما قبلها إلا أنها تبين الآخر من الأول، وأما قوله: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنْ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظِلْمَاتٍ ثَلَاثَ نَلَكَمِ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآنَى تُصْرَفُونَ﴾ [٦: الزمر]. والزوج مخلوق قبل الولد، فالمعنى أن يجعل خلقه الزوج مردوداً على واحدة، المعنى خلقها واحدة ثم جعل منها زوجها، ونحو ذلك قال الزجاج، قال: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ أي خلق منها زوجها قبلكم؛ قال: وِثْمٌ لا تكون في المعطوف إلا لشيء بعد شيء، والعرب تزيد في ثَمَّ تاءً تقول فعلت

الطويلة بين المدينتين مع التراخي؛ لذلك استخدم (الفاء) كي تنوب عن (ثم) لوقعها الجمالي ودقتها في هذا السياق. وبهذا قد توضع ثم موضع الفاء^(١٧)، كقول أبي ذؤاد ابن الحجاج:

كهز الرديني تحت العجاج

جرى في الأتابيب ثم اضطرب

وقد تقع ثم موقع الفاء في إفادة الترتيب بلا مهلة نحو: دخلت ثم حبيت الحضور ثم جلست. وفي (ثم) يأتي معناها الترتيب مع عدم التعقيب (أي: الترتيب مع التراخي)؛ وهو: انقضاء مدة زمنية طويلة بين وقوع المعنى على المعطوف عليه ووقوعه على المعطوف، وتقدير المدة الزمنية الطويلة متروك للعرف الشائع؛ إذ لا يمكن تحديد الوقت القصير أو الطويل تحديداً عاماً يشمل كل الحالات. فقد يكون الوقت قصيراً في حالة معينة، ولكنه يُعدّ طويلاً في أخرى^(١٨). نستشف من كلام عباس حسن معاني أخرى لـ(ثم) وخصوصاً في المدة الزمنية التي تستغرق للوصول من المعطوف إلى المعطوف عليه. ومن المعاني أيضاً أنها تكون بمعنى (الفاء) أحياناً فتفيد الترتيب مع التعقيب بقرينة؛ نحو^(١٩): شرب العاطش ثم ارتوى، وإذا أنعمنا النظر فيها نجد ما بين شرب العاطش والارتواء مدة قصيرة من لحظة حدوث الشرب إلى نهاية الشرب، ولو قلنا: شرب العاطش فارتوى، لأفادت الشرب والارتواء معاً ولم تعط المعنى اللازم في إنشاء الصورة الحركية المتتابعة في الشرب، فتكون النتيجة هي الارتواء، أو أن العاطش في لحظة الشرب ارتوى ولم يُمهّل حتى يدخل الماء في جوفه ثم يرتوي، ولذلك نستطيع القول بأن (ثم) لم تأت بمعنى (الفاء)؛ لأن وجودهما في مكانهما هو الذي يعطي المعنى الدقيق والبلوغ في السياق بعيداً عن الانطباع والذوق العام.

وإذا ما قرأنا المثال: (دخلت ثم حبيت الحضور ثم جلست) قراءة دلالية إيحائية نجد أن معنى التحية هنا قد اشترك مع وقت الدخول، وكأن التحية سبب في

المهلة، والترتيب، والتراخي، والتشريك في الحكم، فإنها قد تأخذ جانباً في الدلالة الإيحائية من معنى الفاء بالترتيب دون مهلة. وهذا ما يسمى في علم الدلالة "التركيب الموحد الذي تعنى به الكلمة المكونة من مورفيم حر بالإضافة إلى مورفيم متصل أو أكثر، أو المكونة من مورفيمين متصلين أو أكثر. وقد عرف Nida التركيب الموحد بأنه ما يتكون من اثنين أو أكثر من الصيغ الحرة، أو ما يتكون من مجموعة كلمات يتصرف تجمّعها ككل بطريقة مختلفة عن الطبقة الدلالية للكلمة الرئيسية"^(١٣).

ومثال إفادة (الفاء) للترتيب والتعقيب، و(ثم) للترتيب والمهلة قوله تعالى: ﴿قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ * مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ * مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ * ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ * ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ * ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾ [١٧-٢٢: عبس]، فعطف الإقبار على الإماتة بالفاء - وكان الموت سبب في الإقبار -، والإشارة على الإقبار بـ ثم، لأن الإقبار يعقب الإماتة، والإشارة يتراخي عن ذلك^(١٤). يقول ابن جني في معنى الفاء: "ومعنى الفاء التفرُّق مع مواصلة، أي: الثاني يتبع الأول بلا مهلة نقول: قام زيد فعمرو أي: يليه لم يتأخر عنه^(١٥). ويعلق عليها ابن الخباز بقوله: "وأما الفاء (فمعناها التفرُّق على مواصلة) وهذا تفسير حسن، فمعنى التفرُّق أن كل واحد من المعطوف والمعطوف عليه منفرد. ومعنى المواصلة: أن الثاني بعد الأول بلا مهلة، فإذا قلت: مررت بزيد فعمرو، فهذا يسميه سيبويه مُرُورين، ومن ذلك قولك: مررت بزيد فعمرو، ومررت برجل فامرأة، فالمرور هنا مروران، وإذا قلت: مررت بزيد وعمرو فهذا يسميه مروراً. فإن قلت: فما تصنع بقولهم: (دخلت البصرة فالكوفة) وبين المدينتين مسافة طويلة؟ قلت: معناه: أن المتكلم بعد دخوله البصرة لم يشتغل بشيء غير الدخول إلى الكوفة^(١٦)؛ أي أراد أن يسلط الضوء على حدث الدخول بالترتيب، وليس حدث السفر حيث المسافة

الآية) والآيات من ناحية، وبين الصور الحركية من ناحية أخرى.

وإذا سألت عن (ثم) في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ ستجد اختلاف الدلالة الإيحائية في معناها من خلال وجودها بين المفردات، ففي (ثم) التي بين المفردتين ﴿خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ﴾ نجد أنها تفيد الترتيب بلا مهلة في الظاهر؛ ولكنها فعلياً تبدأ بلا مهلة وتنتهي بمهلة مع التشريك في الحكم مع التعقيب بقرينة، ولم تأت بمعنى (الفاء)؛ لأن الخلق والرزق حالتان مختلفتان وليستا عمليتين متتاليتين، ولو جاءت بمعنى (الفاء) لجاؤ الرزق مع الخلق وانتهى. والذي يجعلنا نتبع هذا الرأي هو أن الرزق مقرون بخلق الإنسان؛ لأن المدة الزمنية المستغرقة في الخلق والرزق فيها معنى التلازم، حيث إنها جاءت على سبيل الترتيب الكيفي وليس الترتيب الكمي. وفي كلمتي ﴿خَلَقَكُمْ﴾ و﴿رَزَقَكُمْ﴾ دلالة إيحائية تعني الزمن الماضي؛ أي حدث مرة واحدة ولم يتكرر الخلق ولا الرزق مرة أخرى، فخلق الإنسان تم بقدر الله تعالى، وفي هذه الأثناء جاء الرزق مسيراً للخلق والنمو؛ فالرزق كتب للإنسان منذ خلقه، ومن ثم نزل منجماً حسب عدد الساعات والأيام والسنين، وإذا شئت أن تبحث عن دليل مفصل، فستجده في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا * ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [١٢-١٦: المؤمنون] وفي هذه الآيات تجد حركية الدلالة الإيحائية في وضعية الحروف (الفاء) و(ثم) في وضعية خاصة تتم عن دقة في الدلالة بشكل لافت للانتباه مما يجعل الحياة بشكلها التخلق والرزق حركة تبادلية فيها الأخذ والعطاء، حيث تجد الرزق سبباً في حركة التخلق ومرة تجد التخلق سبباً في

الدخول وهي متلازمة في الحركة والصوت. ففي (ثم) الأولى نجد المدة الزمنية قد استغرقت فترة قصيرة تفيد التشريك بين حركتي (دخلتُ وحييتُ الحضور)، وهذه الحركة (حركة الدخول) من طبيعتها أن تشترك في أمر آخر، إما النطق بالتحية أو حركة ما توحى إليه بالتحية، كما أن المدة الزمنية المستغرقة في (ثم) الثانية هي المساحة التي تم المشي فيها من وقت الدخول إلى وقت الجلوس، حيث تساوي المسافة الزمنية التي استغرقتها المشي، أما الشاهد:

كهز الرديني تحت العجاج

جَرَى فِي الْأَنْبَابِ ثُمَّ اضْطَرَبَ

فالمعروف أن اضطراب الريح المهتز لا يحتاج إلى مهلة وقد استخدم الشاعر (ثم) لتدل على حدوث الفعل دون مهلة مع أن أصل وضعها عكس ذلك؛ يعني للمهلة والتراخي، حتى إننا نجد فيه أن الحركة في هذه الصورة قد توالفت منذ لحظة اهتزاز الريح المنسوب إلى الردينية، وانبعثت الغبار وتواصلت مع حركة الجري حتى إذا رمي اهتز وبعد أن سار قليلاً في الهواء حدث الاضطراب، حيث تتابع الاضطراب بعد زمن من الاهتزاز فظن المستمع أن الشاعر أراد ذكر الحديثين وأنهما جاءا معاً وأن لا مهلة بينهما فاستخدم (ثم) بدلاً من (الفاء)، مع أن الشاعر كان واعياً في وضع (ثم) هذا الموضع.

وهذه السطور كانت مقدمة في الدلالة الإيحائية لمعنى (ثم) و(الفاء)، ولكن بالإمكان البحث بإسهاب في دقة الدلالة الإيحائية في معنى حرف العطف (ثم) بداية في الآية الكريمة: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [٤٠: الروم]. ولقد اخترت مصطلح الدلالة الإيحائية مصاحباً للإعجاز لعدم قدرتي على إيجاد مظاهر الإعجاز بشكل مرضٍ في الآيات القرآنية الخاصة بهذه المسألة؛ ولذلك حاولت ربط بعض العلاقات بين الكلمات (مفردات

الكريمة: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ أن المدة الزمنية ما بين تخلق النطفة حتى تصبح علقة عشرة أيام، وهي فترة طويلة لمعنى (ثُمَّ)، أما ما جاء في المفردات ﴿فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ فالفاء لها دلالة إيحائية أخرى، حيث إن العلقة تكون على شكل حبة التوت، وهي ذات الشكل للمضغة فجاءت هنا الفاء للدلالة على الترتيب وسرعة عملية تحولها إلى مضغة؛ لأنها غمست بالدم، والمضغة الحقيقية تغمس بريق الإنسان حين مضغها. وأما ما نجده في الدلالة الإيحائية من صورة علاقة الحرف بما سبقها ولحقها أن المفردات أعطت معنى وصف العمليات في التحولات التي تحدث للجنين من خلال التخلق والرزق وتلازم التحولات المتتابعة في التخلق ﴿فَخَلَقْنَا الْمَضْغَةَ عِظَامًا فَكُسُونَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾ ولماذا يقال إن (الفاء) قد نابت بدلاً عن (ثُمَّ)؟ لأن المضغة، والعظام، والعضلات، وكل أجهزة الجنين تتخلق في نمو مطرد من خلال الخلايا المختصة بإنشاء كل جهاز من أجهزته، ولكن مرحلة ظهور العظام وكسوها لحما في أسبوع الجنين الحادي عشر، سارت في مُدَدٍ زمنية متعاقبة لا يفصلها سوى التحول الشكلي، أي أن عملية التخلق كلها تمر بتزامن دقيق متلاحق التحولات، فالعظم أساس البناء واللحم مكمل له، كما ينمو الغصن بعوده ولحائه وبرعمه في زمن واحد، وإذا ما أقمنا علاقة نمو العظم مع القراءة القرآنية حيث قرأها ابن عامر وشعبة (عِظْمًا، الْعِظْمُ) موصولة الأحرف لا يفصلها شيء مما يؤدي إلى معنى عملية النمو المطرد وزيادة حجم الجنين الموصول بعمليات متعاقبة متلازمة وليس بمعنى الحالة، فكانت الفاء في هذا المقام أنسب من (ثُمَّ)؛ لأن (ثُمَّ) تأتي بمعنى التراخي ولو كان صورياً في سياق النص، أما الفاء فتأتي بترتيب متعاقب ودون مهلة عادةً، وحتى تأتي الآية ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾، التي تبدأ بحرف العطف (ثُمَّ) بمعناها الحركي المتتابع المتلازم مع عملية التخلق؛ أي أن معظم أجهزة الجنين

وجود حركة الرزق، وهذه الحركات متتابعة ومتلازمة من لحظة الخلق والتخلق؛ أي من لحظة خلق الإنسان من طين إلى بعثه يوم الدين. إن فترة حياة البويضة ساعات قليلة أو يوم على أبعد تقدير إذا لم تلتق بالحيوان المنوي، وإن رحلة دخول الحيوان المنوي إلى البوق تستمر من ثلاثة إلى أربعة أيام ويكون هذا عمره، وإذا لم يتم التلقيح مات بعد أيام، أما إذا تم التلقيح فتضرب على محيطها الخارجي جداراً يمنع دخول النطف الأخرى، فيبدأ انقسام الخلية الجديدة وهي البويضة الملقحة بشكل سلسلة هندسية، ٢، ٤، ٨، ١٦، ٣٢، ٦٤، ١٢٨، ٢٥٦، ٥١٢، وهكذا حتى تنتج عدداً ضخماً من الخلايا مع عدم زيادة حجم البويضة الأصلية؛ أي أن الذي يحصل تقسم البويضة فقط، وأثناء ذلك تسير البويضة في نفق البوق وتستمر الرحلة قرابة عشرة أيام، وما أن تصل جدار الرحم حتى يصبح شكلها من كثرة ازدحامها بالخلايا مثل حبة التوت، وهذه البويضة (النطفة) تعلق بجدار الرحم بعدما تمد أرجلاً مثل أرجل الإخطبوط وتقوم بقضم محتويات الجدار مع العروق الدموية فينسكب الدم الغزير بشكل برك تحيط بهذه البويضة التي يصبح اسمها (علق)، حيث تقوم هذه الأرجل بامتصاص الغذاء من الدم وكل ما يلزم لتخلق الجنين من الماء والأملاح المعدنية والفيتامينات والسكريات والدهن، والمواد الغذائية من فواكه وخضراوات ومأكلات طيبة ووجبات كثيرة تقدم له من كل مكان داخل الرحم، وخلال عملية التخلق يصبح اسمها (مضغة) وتظهر ميزاته في وسط المضغة وهي التي ستكون في المستقبل الدماغ والنخاع كما تظهر بجانبها قطع عرفت بالقطع البدنية، ومن هذه القطع تتولد الفقرات وامتدادها العظمي وهي عظام الأطراف، وبعد ذلك تأتي عملية كسو العظام بالعضلات (اللحم) التي هي امتداد طبيعي للعظام لتكون عضلات كل الجسم ثم يكون خلقاً آخر (٢٠). وإن ما نلاحظه من الدلالة الإيحائية في معنى (ثُمَّ) من خلال مفردات الآية

سورة غافر: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا﴾ [غافر: ٦٧]. وأيضاً في قوله من سورة فاطر: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَرْوَاجاً وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ مَعْمَرٍ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فاطر: ١١].

وفي قوله من سورة الحج: ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نَخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾ [الحج: ٥]. والشاهد في هذه الآيات حرف العطف (ثم) حيث إن سياق الآية: ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ جاء فيه مساحة أكبر من (الفاء)، ومتسق مع السياق البياني والعلمي؛ أي جعلناها تنمو لفترة معينة وهي على هذا الشكل، وليس الانتقال من مسمى إلى مسمى. إذاً فيها عموم الحالة والشكل؛ أي مكتملة التخلق مثلاً في حالة العلقة أو المضغة، وفيها استمرارية التخلق، وهذا يحتاج إلى فترة زمنية أطول حتى تكتمل العملية التخلقية وتتمامها لتحويلها إلى شكل آخر. وأفادت (ثم) دلالة التراخي والمهلة في حالات كل شكل من أشكال التخلق حتى تكتمل المدة الزمنية المقرر حدوثها إلى أن تصل إلى مرحلة من المضغة (مخلقة وغير مخلقة) وهنا وصف لكيفية عملية التخلق وحركية الحالة الخاصة بالمضغة. أما في قوله من سورة المؤمنون: ﴿فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾ [١٤: المؤمنون] فنجد في معنى الفاء بداية عمليات التشكل من علقة إلى مضغة ولم تصف حالة؛ وإنما العملية حينما يصبح اسمها مضغة فـ(الفاء) أفادت السرعة بلا مهلة وهي متوافقة ومتسقة مع الإعجاز العلمي في حدها الفاصل بين مرحلة ومرحلة في التخلق الإنساني. و(الفاء) هنا وصفت عملية التخلق بمراحلها المتعددة بعرض سريع دون الوقوف إلى

اكتملت في الخلق بعد مدة زمنية طويلة ومناسبة لحالة نمو الجنين إلى أن يصل الجسم في بدء عمل أجهزته مجتمعة من تنفس وتغذية وتصفية وإفراز وإفراغ في لحظة واحدة. وإذا ما قرأنا قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَيْعِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لَكُمْ يُعَلِّمُ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥].

وإذا ما أنعما النظر في هذه الآية: ﴿ثُمَّ نَخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾ سنجد أنها تساوي عمليات التخلق التالية في الآية (١٤) من سورة المؤمنون: ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَا خَلْقًا آخَرَ﴾.

وفي قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّىٰ مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجْلاً مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [٦٧-٦٨: غافر].

وإذا أنعما النظر في الآية (٦٧) من سورة غافر ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾ سنجد أنها تساوي عمليات التخلق التالية: ﴿فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَا خَلْقًا آخَرَ﴾، ونلاحظ أيضاً في هذا المجال أن حرف العطف (ثم) هنا في السياق له دلالة إيحائية جاءت بمعنى (الفاءات) في السياق السابق؛ لأنها اقترنت بـ(من) التبعية، وهي تأتي بمعنى اللحظة الأولى التي أصبحت فيها العلقة مضغة، وتعني أيضاً صغر العلقة حين تحولها من النطفة التي لم يزد حجمها إلا حينما أصبحت علقة وبدأت عملية التخلق. وفي قوله من

على هذه المياه في سقاية المزروعات، وفي هذا أنواع معينة لا تنبت إلا من سقاية الناس لها، وهي النباتات والأشجار المثمرة التي تعيش في البيئة البحرية أو النهرية، وعا عن ذلك الأشجار غير المثمرة تكون في البيئة نفسها.

قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيِّ يَمُنَى * ثُمَّ كَانَ عَقَّةً فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى * أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ [٣٦-٤٠: القيامة].

وقد جاءت (ثم) في هذا السياق بمعنى الترتيب والتراخي من لحظة النطفة إلى أن أصبحت (علقة) وهنا وصف حالة النطفة وحالة العلقة ثم وصف عملية التخلق وعملية خروج الإنسان سوياً في حركة متعاقبة ومتلازمة، وقد جاءت (الفاء) أنسب من (ثم) لعدم انفصال عملية التخلق في سياق النص القرآني: ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ [١٤: المؤمنون]، ونعتقد أن التناوب لا يأتي مترادفاً أو دون معنى دقيق، أو دلالة إيحائية مستقلة عن سياق الآيات المتشابهة في الموضوع. ونلاحظ في هذا المقام عدم وجود ترادف أو تناوب في حروف العطف أو غيرها من الأصوات إلى الألفاظ إلى الجمل إلى الآيات عامة في القرآن الكريم. وقارئ القرآن الدارس له يجد روعة الإعجاز البياني متسفاً مع الإعجاز العلمي من خلال قوله تعالى: ﴿... وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوها لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [٢٥٩: البقرة]. في الشاهد ﴿ثُمَّ نَكْسُوها لَحْمًا﴾ من سورة البقرة مع الشاهد ﴿فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾ من سورة المؤمنون. فـ (ثم) جاءت بمعنى حرف عطف، يفيد التشريك في الحكم، والترتيب والتراخي، حيث كان بناء اللحم على العظام بعد مدة من (نشزها) أي رفع العظام وتركيبها، وفي قراءة أخرى (ننشزها) نبعثها ونعيدها إلى ما كانت عليه من قبل، أي أن الكسو هو تلبس اللحم على

كيفية التخلق. وكأننا نشاهد من خلال (الفاء) عرضاً فوتوغرافياً، وفي (ثم) عرضاً سينمائياً، فكانت (الفاء) للعمليات و(ثم) للحالات.

قال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُتْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [٢٢: البقرة]، فـ(الفاء) في هذا السياق قد تأتي بدلالة إيحائية بمعنى (ثم)؛ ولكن المعنى الدقيق هو أن استخدام (الفاء) في هذا المقام أنسب، والصورة هي أن في اللحظة التي وصل فيها الماء إلى الأرض لأمس البذور فامتصت البذور شيئاً منه، وبذلك تبدأ عملية الإخراج في هذه اللحظة، حيث يخبرنا العليم الخبير بقوله: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [٥: الحج]. وفي هذا السياق جاء النمو في مراحل زمنية عدة، حيث الاهتزاز في المرحلة الأولى التي يتساقط الماء على الأرض فيها، ومعنى اهتزت تحركت، وتجوز به هنا عن إنبات الأرض نباتها بالماء، وأثناء حركة البذور تربو أي تزداد وترتفع من ربا يربو، وبعد ذلك تتم عملية الإنبات، ومن الناحية الدلالية الإيحائية فيها التواصل والتتابع والتلازم في حركة النمو للبذور، وتكون أنبتت من كل زوج بهيج صفة لمفعول به تقديره: وأنبتت أشياء وأصنافاً كائنة من كل صنف، وبهيج صفة لزوج^(٢١). والبذرة من لحظة تلامسها بالماء ونموها من خلال امتصاص الماء المكتنز في التربة، تحسب لها المدة الزمنية بالأيام والشهور حتى يستوي الزرع على سوقه، وهذه الثمرات تنمو وتكبر من ماء المطر فقط؛ أي الزراعة البعلية.

قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ﴾ [٣٢: يراهم]، وهذا السياق يعني وجود الأنهار والبحار في بقعة ما، فيعتمد الناس في الزراعة

سنجد الفاء ذكرت في سياقها المتمثل في طريقة العرض من ناحية العملية التكوينية وليس حسب الحالة التخلقية.

قال تعالى: ﴿سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى* الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾ [١-٢: الأعلى]، والفاء هنا تساوي في معناها الدلالي الإيحائي معناها في قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ* ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ* ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [١٢-١٤: المؤمنون]، والمنتبغ لعملية التخلق يجد أن (الفاء) بمعناها الحركي المنتبغ والمتلازم مع عملية التخلق، إلى أن يصل الجسم إلى عمل أجهزته مجتمعة من تنفس وتغذية وتصفية وإفراز وإفراغ في لحظة واحدة، إلى خروجه من رحم أمه إلى الدنيا طفلاً، وفي قوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [٤: التين]، يجد المرء أن كل هذا دليل آخر على جمالية الاختزال الزمني في الشكل والمعنى، وحتى دلالة الصوت في حرف العطف (ثم) الأولى ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ في الآية (١٤) و(ثم) الثانية في الآية: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [٤: المؤمنون]، وما بينهما تمتلك هذه الجمالية.

عرض آيات البحث مع اختلاف القراءات:

- ١- قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [٤٠: الروم]. (شيء) قرأها ورش بالتوسط والمد على حرف اللين الواقع بعده همزة (تُشْرِكُونَ) حمزة والكسائي وخلف.
- ٢- قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ [١١: الأعراف]. وقرأ أبو جعفر بالرفع ﴿لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا﴾.

العظام بعد مدة زمنية، وهذه المدة هي التي استغرقها بناء العظام، وقد جاء البناء في سياقه مختلفاً عن النمو المطرد، وعكس هذا الأمر في وجود حرف العطف الفاء في عملية التخلق الإنساني داخل الرحم وليس خارجه؛ فاستدعى ذلك استخدام الفاء من أجل تصوير نمو العظام مقترناً بنمو اللحم، وكما قلنا من قبل إنَّ العظم أساس البناء واللحم مكمل له، كما تنمو البذرة من اللحظة الأولى ويكبر معها الجذع فالغصن فاللحاء فالبرعم فالأوراق في زمن متلاحق متتابع لا يفصل بينهما فاصل؛ أما في حالة التركيب من نوع إلى نوع آخر فيشق الجذع ثم يؤتى ببرعم من شجرة أخرى من نفس الفصيلة ويوضع في الشق ويربط إلى أن يلتحم ثم يقطع الجذع القديم ويبقى الجديد وينمو إلى أن يصبح فرعاً ملتصقاً بالجذع لا يفرق بينه وبين الأصل إلا ذو خيرة في هذا المجال؛ فكانت (الفاء) في هذا المقام أنسب من (ثم)؛ لأن (ثم) تأتي بمعنى التراخي وضمن وصف الحالة حيث تكون نتيجة في سياق النص، أما (الفاء) فتأتي مع وصف العمليات بترتيب متعاقب ودون مهلة ظاهرة عادة، ففي هذا المقام تكون الفاء في العمليات حيث إن العملية المقترنة بـ(الفاء) لا تتم إلا بعملية سابقة لها تمت وقد يكون بعدها عملية أخرى، أو حالة منفصلة عنها في تتابع العمليات الخاصة (للفاء)؛ لذلك تأتي الحالة المنفصلة عن حالة أخرى، أو عملية سابقة مقترنة بـ(ثم)، إذن الفاء مقترنة بالعمليات، و(ثم) مقترنة بالحالات. قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً* إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً﴾ [١-٢: الإنسان]، وقد لاحظ أن (الفاء) في السياق القرآني لها دلالة إيحائية بمعنى (ثم)؛ لأن قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً﴾ تساوي عملية التخلق في قوله تعالى: ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ [١٤: المؤمنون]، (فالفاء) هنا أيضاً تساوي كل الفاءات في الآية التي سبقت؛ ولكننا

فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢١-٢٢﴾: البقرة.

٨- قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾﴾: إبراهيم].

٩- قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى * أَمْ يَكُ نَظْفَةً مِنْ مَنِيِّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عِلقَةً فَخَلَقَ فَسَوَى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى * أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴿٣٦-٤٠﴾: القيامة]. (أَيْحَسَبُ) قرأها عاصم، وحزمة، وابن عامر، وأبو جعفر. وقرأها الباقون (أَيْحَسَبُ).

١٠- قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نَظْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ مَعْمَرٍ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾﴾: فاطر]. قرئت (ولا يَنْقُصُ) قراءة يعقوب، و (ولا يَنْقُصُ) الباقون.

١١- قال تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى * الَّذِي خَلَقَ فَسَوَى ﴿١-٢﴾: الأعلى].

١٢- قال تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾: البقرة [٢٣]. قرأ نافع وابن كثير (نُنشِزُهَا) بالراء المهملة.

١٣- قال تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقَكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظِلْمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

٣- قال تعالى: ﴿قَلِيلٌ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ * مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ * مِنْ نَظْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ * ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ * ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ * ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ﴿١٧-٢٢﴾: عبس]. وقرأ قالون، والبيزي، وأبو عمرو (شاء أنشره) بإسقاط الهمزة الأولى مع المد والقصر، وقرأ بتسهيل الثانية: ورش، وقنبل، وأبو جعفر، ورويس. ولورش، وقنبل، وإدخالها ألفاً مع المد المشبع للسالكين. وقرأ الباقون بتحقيقها.

٤- قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سَلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَظْفَةً فِي قرارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النَّظْفَةَ عِلقَةً فَخَلَقْنَا الْعِلقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٢-١٦﴾: المؤمنون [٢٢].

٥- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نَظْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عِلقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾: الحج]. وقرأ أبو جعفر (وربت) بهمزة القطع (وربأت).

٦- قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نَظْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عِلقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلٍ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٦٧﴾: ٦٨، غافر]. وقرأ ابن كثير، وابن ذكوان، وشعبة، وحزمة، والكسائي (شيوخاً). وقرأ ابن عامر (فيكون).

٧- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً

توافق التعقيب والتراخي مع مراحل تخلق الجنين في رحم الأم فوزية القضاة

- (٩) لرجل من بني سلول، المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، نشره أحمد أمين، عبد السلام هارون، قسم (١)، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١م، ص ٥٩٣.
- (١٠) للسفاح بن كثير اليربوعي، رثى بها يحيى بن ميسرة صاحب مصعب بن الزبير، الخصائص لابن جني، ص ١٢٢.
- (١١) انظر: ابن جني، الخصائص، حققه محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت، دون تاريخ، ج ٢، ص ٨٢-٨٨.
- (١٢) ابن جني، الخصائص، حققه محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت، دون تاريخ، ج ٢، ص ٤٤٠.
- (١٣) أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، ١٩٩٨، ط ٥، ص ٣٣.
- (١٤) ابن هشام الأنصاري، شذور الذهب، محمد محي الدين عبد الحميد، بدون تاريخ، ص ٤٤٦.
- (١٥) أحمد ابن الحسين ابن الخباز، توجيه اللمع في شرح كتاب اللمع لأبي الفتح ابن جني، تحقيق: فايز دياب، دار السلام، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ٢٨٣.
- (١٦) ابن الخباز، توجيه اللمع، تحقيق: فايز دياب، ص ٢٨٥.
- (١٧) عبد الغني الدقر، معجم القواعد العربية، دار القلم، دمشق، ٢٠٠١، ط ٣، ص ١٩٠. وانظر ابن هشام، مقفي اللبيب، دار الفكر، ص ١٦٠-١٦١.
- (١٨) عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٦، ط ٤، ج ٣، ص ٥٧٤-٥٧٨.
- (١٩) عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٦، ط ٤، ج ٣، ص ٥٧٤-٥٧٨.
- (٢٠) خالص جليبي، الطب محراب إيمان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥، ط ٤، ج ١، ص ٧٣-٧٥.
- (٢١) محيي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، حمص، ط ٧، ج ٥، ص ٩٩-١٠٥. وانظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٨، ص ٢٠٣، ٢٠٤.
- (٢٢) انظر: عرض آيات البحث مع اختلاف القراءات، ص ٢٠.
- (٢٣) السابق نفسه، ص ٢١.

فَأَنى تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ [الزمر]، قرأها حمزة (بطون إِمَهَاتِكُمْ)، (بالميم المشددة المكسورة) وقرأها الكسائي (بطون إِمَهَاتِكُمْ)، (بالميم المشددة المكسورة). وقرأها الباقون (بطون أُمَهَاتِكُمْ)، (بالميم المشددة المفتوحة).

١٤- قال الله ﷻ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [٢٠: الإنسان]. (ثم) وقف رويس بهاء السكت، والباقون بتركها.

١٥- قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَتَمَّ وَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [١١٥: البقرة].

الهوامش:

- (١) وتناوب القوم الماء: تقاسموه على المقلّة، وهي حصة القسم. الجوهري: النوبة واحدة النوب، تقول: جاءت نوبتك ونيابتك، وهم يتناوبون النوبة فيما بينهم في الماء وغيره. وناب الشيء عن الشيء، وينوب: قام مقامه؛ وأنبئته أنا عنه. وناويه: عاقبه. لسان العرب، مادة نوب.
- (٢) في اللغة: ترادف الشيء: تبع بعضه بعضاً. والترادف التتابع. لسان العرب، مادة ردف. أما في المصطلح أن تأتي بكلمة معينة تشبه كلمة أخرى بنفس المعنى العام من مثل: الخوف والخشية والتقوى.
- (٣) أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، ١٩٩٨، ط ٥، ص ١١.
- (٤) صفة مظهري، الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٣م، ص ١٥.
- (٥) ابن هشام الأنصاري، قطر الندى وبل الصدى، محمد محي الدين عبد الحميد، دار الخير، بيروت، ١٩٩٠م، ص ٣٠٤.
- (٦) شيخ ابن الخباز: هو عمر ابن أحمد ابن أبي بكر ابن أحمد بن مهران العراقي النحوي مجد الدين أبو حفص الضرير.
- (٧) أسعد النادري، نحو اللغة العربية، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٢م، ص ٦٠٣.
- (٨) ابن منظور، لسان العرب، مادة (ثم).